المرأة والحضارة... قراءة تحليلية نقدية

أ.فاطمة حافظ (*)

تقديم: المرأة والحضارة في سطور:

- نشرة متخصصة في دراسات المرأة المسلمة أصدرتها جمعية دراسات المرأة والحضارة بالقاهرة.

- صدر منها ثلاثة أعداد: الأول في (1420هـ -2000م)، والثاني في (ربيع أول 1422هـ - يونية2001 م)، والثالث في (شعبان 1423 هـ - أكتوبر 2002م) وتوقفت الدورية عن الصدور بعد هذا التاريخ.

- مديرها المسئول أ.د.منى أبو الفضل، ورئيس تحريرها د.أماني صالح، يعاونها هيئة تحريرية مكونة من عدد من الباحثات معظمهن ينتمي لحقل العلوم السياسية.

- احتوت الدورية على ثمانية أبواب في كل عدد، بعض هذه الأبواب كان ثابتًا مثل: الحلقة النقاشية، والمفاهيم، وعروض الكتب، وتقرير المرأة المسلمة، والخواطر. ومع العدد الثاني، شرعت الدورية في تدشين ملف العدد الذي يضم جميع المقالات التي يدور حولها موضوع العدد.

أولا- المرأة والحضارة... سياقات النشأة والمرجعية:

عرفت تسعينيات القرن العشرين صدور طائفة من الدوريات والنشرات العربية التي تركزت حول المرأة، ولم يكن صدور دوريات متعلقة بالمرأة أمرًا جديدًا أو ذا أهمية؛ ذلك لأن الصحافة النسائية قد عرفت طريقها إلى العالم العربي منذ نهايات القرن التاسع عشر؛ كان المتغير الجديد الذي حملته هذه الدوريات [1] في انطلاقها من أرضية مغايرة عما سبقها، حيث استهدفت التأسيس لحقل معرفي جديد هو حقل دراسات

(*) **باحثة في التاريخ**، حاصلة على درجة الماجستير في التاريخ من كلية الآداب جامعة عين شمس، وطالبة بمرحلة الدكتوراه، **ومحرر العروض والمراجعات بموقع "ببليو إسلام"**.

(1) من بين هذه الدوريات انظر على سبيل المثال: دورية (**رسائل الذاكرة**) الصادرة عن ملتقى المرأة والذاكرة، ودورية (**طيبة**) الصادرة عن جمعية المرأة الجديدة، ودورية (**هاجر**) وكتاب (**نور**) الذي أصدرته مؤسسة نور.

المرأة؛ وعليه فقد كانت هذه الدورية صادرة عن مؤسسات وجهات بحثية وليس عن مؤسسات صحفية.

في ظل تلك البيئة الجديدة وفي لحظة تاريخية تُصادف عبورًا من ألفية ميلادية إلى أخرى صدرت (**المرأة والحضارة**) تعبيرًا عن "**الحاجة الملحة إلى نشأة معارف نسوية محلية-أو خاصة- وفك عرى التبعية بين حركة النساء في العالم عمومًا والعالم الإسلامي على وجه الخصوص وبين الاتجاهات النسوية الأسبق حركة وتقدمًا في الغرب**" [1].

يقودنا التصفح الأولي لبعض الدوريات النسوية من جهة، والمرأة والحضارة من جهة أخرى، إلى أننا أمام دورية مغايرة عما عداها من حيث الأهداف المرجوة، وطبيعة الموضوعات المطروحة، أو المنظور الذي توظفه. وقبل هذا كله المرجعية التي تصدر عنها.

تعبر الدكتورة منى أبو الفضل عن طبيعة الدورية والمرجعية التي تنبثق منها بقولها: إن المرأة والحضارة تقع ضمن مدرسة فكرية تسعى للتأصيل لحقل دراسات المرأة من منظور حضاري، وإن مرجعيتها مرجعية توحيدية لها محدداتها ومعاييرها التي تميزها عن المنظومة المادية المعرفية السائدة. ومن شأن التوحيد بما هو مفهوم يرتبط بالذات الإلهية التي خلقت البشر ذكورًا وإناثًا أن يجعل من المرأة جزءًا أصيلًا من نسيج الأمة، بما يجنبنا مغبة الانجراف بالمرأة في مساقات عزلها والافتعال لأدوارها على ما هو الحال عليه في الدراسات النسوية" [2]. والمشروع الفكري للدورية يتوجه ابتداءً نحو الماضي في مسعى لفرز ونقد التراث ومتابعة كيفية تشكل المفاهيم والأفكار والأنساق الاجتماعية التي حددت وضعية المرأة على النحو الذي آلت إليه. ويتوجه بالنقد ثانيةً إلى الحاضر الذي تهيمن خلاله مادية وضعية غربية نافية للقيم والفضاءات الروحية للإنسان.

ثانيًا- قراءة في أعداد المرأة والحضارة:

كان من الطبيعي أن يترك المشروع الفكري والمنظور آثارهما على موضوعات الدورية، وفي هذا السياق يستلفت النظر تخلي الدورية عن متابعة قضايا تُعد في صلب

(1) أماني صالح، نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، **المرأة والحضارة**، 2000، ع1، ص 7.

(2) منى أبو الفضل، نحو منظور حضاري لقراءة سيرة وتاريخ المرأة المسلمة، **المرأة والحضارة**، 2001، ع2، ص 164.

اهتمام الدوريات النسوية المناظرة مثل: الاهتمام بتاريخ الحركات النسائية، أو متابعة القضايا الحقوقية من منظورات قانونية (**قوانين الأحوال الشخصية**)، أو رصد قضايا إدماج المرأة في الحياة العامة (**التمكين**)، أو تقديم ترجمات لنصوص تمثل الخطاب النسوي الغربي – تلك الترجمات تعد محورًا مهمًا وتشغل مساحة لا بأس بها في الدوريات النسوية- وذلك لصالح الانشغال "**بموضوعات حضارية كبرى، هذه الموضوعات –والحديث للدكتورة منى أبو الفضل- بالإضافة إلى كونها غير مطروقة عادة، مثل البحث حول الإنسان والطبيعة الإنسانية، كانت تقع في صلب التطوير للمنظور الحضاري، وكان يتم توجيهها بحيث تصب في تحسين الفهم والرؤية لمسائل الأمة والأسرة والنوع (الجندر) وطبيعة المرأة، وبيان أثر الاختلافات الثقافية على بلورة منظورات مختلفة حول المرأة**" [1].

هكذا كان انشغال الدورية منصبًا حول القضايا النظرية الكبرى ومنصرفًا عن متابعة القضايا الميدانية والتطبيقية الجزئية. ومن خلال تتبع الأعداد الثلاثة للدورية، يمكن أن ندرج كافة موضوعاتها في ثلاث قضايا كبرى، وهي: نقد المعرفة النسوية والإسهام في صياغة منظور إسلامي للمعرفة النسوية، وتقديم قراءة جديدة لسيرة وتاريخ المرأة المسلمة، وأخيرًا: رصد ملامح الخطاب القرآني المتعلق بالمرأة.

أ- **نحو تأسيس منظور إسلامي للمعرفة النسوية:**

انصب تركيز المرأة والحضارة في عددها الأول حول نقد المعرفة النسوية الغربية، والسعي لبلورة منظور نسوي إسلامي بديل، وإن كنا نلحظ أن الاهتمام بتأسيس هذا المنظور لم يتواصل في العددين التاليين، فلم تُراكم الدورية على هذا الصعيد المعرفي مثلما راكمت على صعيدي: مراجعة تاريخ المرأة المسلمة، وتقديم قراءة جديدة للخطاب القرآني المتعلق بالمرأة. وعلى الرغم من ذلك، فإنها ومن خلال هذه المحاولة الأولية قد أسهمت في التأسيس النظري لمعرفة نسوية إسلامية، وأتاحت للقارئ التعرف على بعض الاقترابات والمفاهيم التي تعينه على متابعة القراءة على هذا الصعيد، ونجحت كذلك في تقديم نقد منهجي لأطروحات النظرية النسوية.

(1) **المرجع السابق**، ص 164.

الإسهام الأبرز في صياغة معرفة نسوية إسلامية أتت به الدكتورة أماني صالح في دراستها المعنونة **"نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية"** والتي غلب عليها الصفة التنظيرية، وبدا فيها الافتراق الحاسم والواضح للدورية عن كل من المنظورات النسوية ذات التوجه العلماني، وعن المنظورات النسوية الإسلامية التي لم تُعنَ من الأساس بصياغة أطر نظرية معرفية وأفرغت وسعها في الإسناد الشرعي للمسائل المطروحة المتعلقة بالمرأة.

- ناقشت د.أماني صالح في دراستها دواعي الحاجة إلى توليد معرفة نسوية إسلامية، وأرجعتها إلى سببين:

أولهما ما يرتبط بالمعرفة النسوية الغربية التي تثير الرفض والاغتراب لدى النسويات غير الغربيات لمخالفتها رؤاهن الأنطولوجية، ونزوعها نحو تهديم البنى الاجتماعية والمعرفية القائمة عوضًا عن محاولة إصلاحها.

وثانيهما ما يتعلق بخصوصية واقع ومشكلات المرأة المسلمة، وما تستهدفه المعرفة النسوية من رفع الظلم الذي يُمارس بحق النساء، وهو الأمر الذي يقتضي -بالنسبة إليها- خصوصية المعرفة النسوية الإسلامية لكونِ هذا الظلم في المجتمعات الإسلامية ينبُع من المنظومة الثقافية الرسمية والشعبية، ومن منظومة العلوم المرتبطة بالدين وتفسيراته، ومن التنظيمات الاجتماعية التي تزعم تمثيل الدين. واختتمت بقولها: **"إن حركة إنصاف المرأة لا يمكن أن تتم إلا بتوافر الشق المعرفي الذي يهدف وبوضوح ودون التباس إلى تفكيك التاريخ البشري عن النصوص المقدسة المجردة، وتطهير الأصول والمصادر الإسلامية من قرآن وسنة مما ألصق بهما من عناصر بشرية تأويلية وبناءات فكرية مصدرها الحقيقي هو الأعراف والآراء والانحيازات البشرية"** [1].

ومن مناقشة دواعي المعرفة النسوية إلى البحث في ملامحها وماهيتها، تعرض الدكتورة أماني صالح للخصائص المميزة للمعرفة النسوية الإسلامية، والتي يأتي في مقدمتها اعتبار الوحي **(المكون الميتافيزيقي)** مصدرًا أصليًّا للمعرفة إلى جوار المصادر المادية والتاريخية التي أقر منطوق الوحي صراحة بضرورتها للفهم والتدبر والاستنباط.

(1) أماني صالح، نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، **المرأة والحضارة**، 2000، ع1، ص 8.

وكذلك اعتبار الوحي الإطار المرجعي الذي تستند إليه المعرفة، وتحاجج د.أماني صالح بأن وجود هذا الإطار المرجعي لا يعدُّ نقيصة، حسبما تذهب بعض التيارات النسوية التي ترى في أي مرجعية حاكمة انحيازًا ذكوريًّا كامنًا، وإنما هو يؤدي وظيفة معرفية بالغة الأهمية حين يُحاكم المنتج المعرفي التاريخي الذي نشأ حول الدين بمقتضى اتساقها مع قيم الدين العليا الحاكمة وأهمها العدل. وتمضي د.أماني صالح في خطوات أبعد حين تتناول الخصائص الاجتماعية التي تسم المعرفة النسوية، ذلك أنها رغم كونها معرفة نقدية فإنها تهدف إلى الإصلاح وليس الهدم، **"إلى إزالة مواطن العلة في الجسد الكُلي للمجتمع والعلم وليس إلى قتل ذلك الجسد"**. ومن هذا المنظور الإصلاحي، فإن المعرفة النسوية ليست نطاقًا مستقلًا انعزاليًّا وعنصريًّا للمعرفة بقدر ما هي **"اقتراب مستقل للإصلاح الفكري والثقافي والاجتماعي، ولكنه يهدف في النهاية إلى تأكيد وحدة واندماج المجتمع والثقافة لا انفصامهما على أسس عنصرية أو نوعية"** [1] وتنقلنا السمة الإصلاحية إلى سمات أخرى مميزة للمعرفة النسوية وهي وقوعها تحت الضوابط الموضوعية والمنهجية الإسلامية وهو ما يكفل لها عدم شططها واستمرارها في قلب المنظومة الإسلامية بحسبانها جزءًا لا يتجزأ من ثقافة الاجتهاد والتجديد في الفكر والثقافة الإسلامية بفروعها المختلفة.

انطلاقًا من أن (**المرأة والحضارة**) تعبّر عن فكر مدرسة وليس فكر دورية، كان هناك حرص أن يتضمن كل عدد حلقة نقاشية، تُعبر عن التوجه العام له. وما يميز نقاشات المرأة والحضارة اتسامها بطابع تعليمي يحمل الكثير من محاولة نقل الخبرات العلمية إلى الباحثات الشابات في الجمعية، وتدريبهن على ممارسة التفكير النقدي وتنمية الأداء البحثي لديهن. في هذا السياق دارت الحلقة النسوية للعدد الأول حول **"البحث النسوي: الأدوات والاقترابات ونظرية المعرفة"** والتي تدارس الفريق البحثي خلالها أحد النصوص النسوية المهمة. ومع فتح الباب للنقاش، انقسمت التوجهات بين: فريق يرى إمكانية الاستفادة من الأدوات والاقترابات المنهاجية التي يتيحها النص، وبين فريق آخر يتبنى نقد النص. وفي هذا السياق، قدمت د.أماني والباحثات نقدًا

(1) المرجع السابق، ص 9.

منهجيًّا رصينًا للنظرية النسوية. وقد أنضج النقاش عددًا من التساؤلات تتعلق بإمكانات تأسيس ملامح نظرية للمعرفة الإسلامية مثل: هل هناك حاجة لتأسيس رؤية أو طرح معرفي نسوي؟ وما طبيعته؟ وهل يعبر عن حاجة نسوية إسلامية ملحة أم أنه مجرد تقديم البديل للطرح الغربي؟ وما مدخل بناء المعرفة النسوية الإسلامية وما الغايات التي تطمح إليها؟ لكننا نلحظ أن الدورية قد اكتفت ببث التساؤلات، ولم تمض إلى ما هو أبعد من ذلك في الأعداد التالية التي اتخذت منحى مغايرًا لهذا المنحى؛ حيث تم التركيز على القضايا ذات الارتباط الأوثق بتفاعلات البيئة الحضارية الإسلامية، وفي هذا السياق أتى اهتمامها بسيرة وتاريخ المرأة المسلمة.

ب- سيرة المرأة في التاريخ الإسلامي: بين المرأة والأمة

يعد البحث في تاريخ المرأة المسلمة القضية المركزية التي شغلت اهتمام المرأة والحضارة؛ إذ ظل سؤال البحث عن الموقع والدور الذي لعبته المرأة خلال التاريخ الإسلامي قائمًا ومثارًا في الأعداد الثلاثة للدورية، وإن تعددت صيغ الطرح ومستوياته. وتعبيرًا عن هذا الاهتمام، تم تخصيص العدد الثاني لتقديم قراءة جديدة لسيرة المرأة المسلمة. وبدورها بيّنت افتتاحية العدد دواعي الاهتمام بقولها: **"ليس البحث في موقع المرأة في التاريخ الإسلامي بالعمل التحسيني، ولا هو نوع من ممارسة الترف الفكري، بل هو في قلب المشروع الإصلاحي الذي يعمد إلى تفعيل قيم الحق الشاملة وإنصاف المرأة؛ ففي بيئة ترتكز على نسق راسخ من المفاهيم والأفكار الموروثة التي تستتر برداء الدين والدين منها براء، يصبح فهم وتفكيك تلك البنى وإبراز عناصر تكونها التاريخي هو البداية الحقيقية للتجديد والإصلاح والإنصاف"** [1].

انطلقت المرأة والحضارة في مقارباتها لسيرة وتاريخ المرأة المسلمة من جملة من المحددات والمرتكزات التي تميزها عن غيرها من الأطروحات النسوية ذات التوجه العلماني التي تشترك معها في الاهتمام بتاريخ المرأة المسلمة، هذه المرتكزات أمكننا استنباطها من خلال تتبع أعدادها، **ويمكن أن نجملها على النحو التالي**:

(1) **المرأة والحضارة**، العدد الثاني، ص 3.

أولاً: وجود وشيجة ورابطة عضوية بين المرأة والأمة على نحو يجعل حكاية المرأة هي ذاتها حكاية الأمة... وحكاية الأمة جملة من الحكايات التي للمرأة فيها باع، وذلك وفق التعبير الموفق للدكتورة منى أبو الفضل.

ثانيًا: أنه لا سبيل لإصلاح أوضاع المرأة بمعزل عن تصحيح مسار الأمة، وانطلاقًا من هذا لا تصبح قضية مراجعة تاريخ المرأة هدفًا في حد ذاته؛ وإنما هي مدخل مهم من آليات التحفيز والتفعيل الحضاري الذي يستهدف الإصلاح الشامل.

ثالثًا: لم يستبطن المؤرخ المسلم قط انحيازًا ذكوريًّا يدفعه لتهميش دور المرأة أثناء عملية التدوين التاريخي، وإنما أتى التهميش لدور المرأة العام من جانب السلطات الثلاث (**سلطة الدولة، والسلطة الشعبية غير الرسمية، والسلطة الدينية وفقهاؤها**).

رابعًا: لعبت السلطة السياسية الدور الأكبر في تهميش النساء، وفي هذا السياق لوحظ أنه "كلما كانت السلطات المختلفة أكثر اقترابًا والتصاقًا بالأحكام والمثل الإسلامية، سمت مكانة المرأة... وكلما ازداد تباعد السلطة عن المثل الإسلامية الحقة، تدنت مكانة المرأة [1].

خامسًا: رغم التهميش والتحجيم، فإن هناك غنى وتنوعًا في الأدوار التي لعبتها المرأة خلال التاريخ؛ فهناك الفقيهات والمتصوفات والواقفات والشاعرات والناشطات السياسيات، بما يعكس فاعلية المرأة في البيئة الحضارية، وحضورها في كافة المواقع الاجتماعية.

استنادًا إلى تلك الأسس والمنطلقات تناولت المرأة والحضارة في دراساتها جملة من الموضوعات تحدثت فيها عن نساء من فئات مختلفة؛ ففي العدد الأول **بحثت زينب أبو المجد** في أوقاف النساء، حيث بحثت في حركة الإسهام العمراني للمرأة خلال مؤسسة الوقف وذلك في العصور الإسلامية الوسيطة. وقد تواصل البحث في العدد الثاني حول عدد من الأدوار الأخرى التي لعبتها النساء في التاريخ الإسلامي؛ فبحثت كل من **منال يحيي ود.أماني صالح** في الدور السياسي للمرأة؛ حيث تطرقت يحيي إلى أثر بيعة النساء للنبي ج في تأسيس دور سياسي للمرأة، على حين واصلت صالح البحث في

(1) **نفس المرجع السابق**، ص 8.

الدور السياسي للنساء، وذلك من خلال دراستها الرائدة للنساء **"الخارجات"** في نهاية عهد علي رضي الله عنه وملوك بني أمية. كاشفة عن نمط انتقال السلطة من الخلفاء الراشدين إلى ملوك بني أمية وأثر ذلك على تدهور المشاركة السياسية للمرأة. أما زينب أبو المجد، فقد خرجت عن الدور السياسي إلى الدور العلمي والثقافي حيث درست طبقات الفقيهات، وتطرقت لقضايا مهمة مثل: وظائف المرأة الفقيهة، والدور السياسي الذي كانت تلعبه، والعلاقة بين المرأة والإفتاء ولماذا غابت المرأة عن مؤسسة الفتوى. أما **عزة جلال**، فتنقلنا إلى عالم الفضاءات الروحية عبر دراستها حول سير المتصوفات في التاريخ الإسلامي، والتي حاولت من خلالها تفسير ظاهرة غياب مدارس أو طرق أسستها متصوفات نساء رغم المكانة العالية التي حازتها بعض النساء، وتطرقت كذلك لجانب مهم وهو الحياة الخاصة للمتصوفات وكيف كانت تمارس دورها كزوجة وأم. أما **أسماء عبد الرازق**، فقد تجاوزت نطاق دراسة المرأة من خلال الأدبيات الرسمية وبحثت في سيرة المرأة من خلال الأساطير والسير الشعبية باعتبارها مصادر التاريخ المتخيل أو الشعبي. على حين اعتمدت **هند مصطفى** في دراستها حول المرأة في حكايات العرب عن مصر على تحليل الحكايات الواردة في كتاب "الخطط المقريزية" وقد جاء تفسيرها لهذه الحكايات انطلاقًا من ثلاثة مفاهيم هي: الرحم، والشرع، والتاريخ. بينما تناولت **أمينة محمود** في دراستها ذكر الرجل في شعر النساء العربيات، واختتمت **طيبة شريف** بإلقاء الضوء على السيرة الفردية للمرأة المسلمة من خلال تركيزها على نموذج سيرة السيدة زينب بنت الزهراء.

وبعد ذلك جاءت الحلقة النقاشية لتطرح بعض القضايا النظرية والمنهاجية المرتبطة بموضع السيرة من علم التاريخ، والإضافات التي يمكن أن تضيفها للتاريخ العام، وكيف يمكن التعامل مع مصادر السيرة ، وما الفروقات بين السير التاريخية والسير الشعبية. واختتمت الحلقة بذكر بعض القواعد والخلاصات حول أهداف ومناهج التعامل مع المرأة المسلمة.

نحن إذًا أمام طائفة من الدراسات والنقاشات متعددة الاتجاهات اختيرت بعناية بحيث تغطي مناطق ومساحات واسعة من تاريخ المرأة، وتقدم رصدا لمختلف الأدوار

الاجتماعية التي لعبتها. ومع إقرارنا بالجهد الضخم الذي قامت به الباحثات، إلا أننا يمكن أن نسجل **عليه ثلاث ملاحظات أساسية**:

الأولى طغيان الجانب السياسي عما عداه من جوانب التاريخ الحضاري والاجتماعي والثقافي؛ وبدا ذلك واضحًا من خلال إفراد أكثر من دراسة لهذا الجانب، أو استخدام مفاهيم ومنظورات العلوم السياسية وإسقاطها على الدراسات التي تقع خارج الإطار السياسي بشكل مباشر(*).

أما الملاحظة الثانية، فهي عدم التطرق لبعض الأدوار المهمة التي لعبتها المرأة، إذ يسترعي الانتباه أن أيًا من أعداد المرأة والحضارة لم تخص المحدثات المسلمات بدراسة مستقلة رغم البروز الواضح للمرأة في هذا المجال.

أما الملاحظة الثالثة والأخيرة، فهي أن الدراسات لم تتابع عملية السرد التاريخي منذ البداية إلى النهاية للوقوف على مناطق التغير والانعطاف في تاريخ المرأة، وأين ومتى حدث التراجع والانحسار لهذا الدور، وعلى سبيل المثال لا الحصر، لم تبرر لنا دراسة أوقاف النساء لماذا انطلقت من العصر الفاطمي رغم أن دور المرأة الوقفي بدأ مع السيدة حفصة رضي الله عنها، وأيضًا لم تسوغ لنا لماذا توقفت عند العصر العثماني ولم تتابع إلى العصر الحديث.

لم يقتصر اهتمام مجلة المرأة والحضارة على دراسة تاريخ المرأة في العصور الإسلامية، وإنما امتد إلى العصر الحديث حيث قدمت دراسات حول عصر النهضة، والريادات النسوية المغيبة، والعلاقة بين المرأة والإصلاح.

وعلى هذا الصعيد تبرز واحدة من أهم عطاءات د.منى أبو الفضل الفكرية حين سعت لدراسة رموز عصر النهضة من النساء انطلاقًا من مفهوم السيرة وتطبيقاته في التاريخ الإسلامي، وهو الاهتمام الذي تطور لديها فيما بعد وأطلقت عليه اسم **"السيراتوغرافيا"**، والذي وجد مِصداقه لديها في دراستها حول الدكتورة بنت

(*) انظر على سبيل المثال: دراسة زينب أبو المجد: **" أوقاف النساء: المرأة، المعرفة، السلطة"**، حيث يبرز جليًا من العنوان اقترابها من مسألة الوقف من منظور السلطة، وفي المقابل هناك غياب للمفاهيم الإسلامية مثل: الإحسان، البر وغيرها.

الشاطئ، والتي حاولت أن تقدم لها سيرة معاصرة. وما يسترعي الانتباه أن منى أبو الفضل قد اعتمدت منهاجية جديدة في تفعيلها لمفهوم السيرة حين جعلت وحدة التحليل الأساسية الفعل/ الدور وليس المرأة، ويمثل الفعل لديها لحظة تتحد فيها الشخصية مع الأمة ويتم خلالها تفعيل الانتماء، وحين يصبح الفعل وحدة التحليل؛ فهذا يعني بوضوح أنها لم تكن تعنى بسيرة المرأة انطلاقًا من جنسها وفردها، وإنما من دورها العمراني ومدى ارتباطه بالجماعة والأمة.

ج- إعادة قراءة الخطاب القرآني المتعلق بالمرأة :-

يبدو العدد الثالث من المرأة والحضارة وكأنه اتخذ وجهة مغايرة لما سار عليه العددان الأولان؛ ذلك أنه بينما دار البحث فيهما عن إمكانيات تأسيس معرفة نسوية إسلامية، وتتبع الممارسة التاريخية للمرأة عبر التركيز على الموقع والدور؛ فإن هذا العدد يعود بنا إلى مصدر التأسيس والتنظير ليبحث عن قراءة جديدة في الخطاب القرآني المتعلق بالمرأة، وليقدم نقدًا مكثفًا للقراءات التاريخية الواقعة خارجه.

حاولت مقدمة الملف أن تفسر دواعي تخصيص عدد للقرآن الكريم منطلقة من الحاجة المعرفية الملحة إلى إرساء قواعد منهجية مستقاة من مصدر التأسيس الأول تساعد على إعادة قراءة حقل دراسات المرأة ومراجعة التراث. وتمضي المقدمة محددة الفرضيات الأساسية التي تنطلق منها المرأة والحضارة في تناولها للقرآن، وفي مقدمتها أن الوحي مصدر معرفي وليس فقط توجيها أخلاقيا، وأنه ينبغي التمييز في مصادر التنظير الإسلامي بين مصادر أصيلة (**القرآن والسنة الصحيحة**) ومصادر مشتقة (**علوم التراث والفكر الإسلامي**)، وأن هناك فارقًا بين النص وتأويله. وأنه مهما بلغت درجة دقة التأويلات في فهم مراد النص، فإن هذا لا يلغي قط التمايز الأصلي بينها الراجع لتباين مصدري النصين. وعليه، فليس هناك مجال لتقديس المحاولات الإنسانية لتفسير القرآن الكريم.

طمحت مجلة المرأة والحضارة أن تقدم قراءة جديدة للخطاب القرآني المتعلق بالمرأة، قراءة تحقق الإنصاف وتنزع الإجحاف الذي يكتنف تأويلات القرآن. وتحقيقًا لتلك الغاية، استند الفريق البحثي للدورية إلى ما أسماه "**القراءة البريئة للقرآن الكريم**" والتي

عرّفها الفريق بأنها "**موقف أو اقتراب بحثي أتاح للباحثات قراءة النص الأصلي بأقل قدر من التشويه**" [1] دون الانغماس والتأثر بمسائل الأولين على النحو الذي يسمح للباحثات أن يستحضرن أسئلة عصرهن ويطرحنها حول النص لا أن يستحضرن هواجس واهتمامات العصور الماضية وينظرن للنص من خلالها. من جانب آخر، جرى التشديد على أن مفهوم القراءة البريئة لا يعني تجرد الباحثات من كل مؤثرات الثقافة المعاصرة أو التأثر بآراء المفسرين السابقة، وإنما هي قراءة استهدفت تكوين رؤاهن وقراءاتهن الخاصة للعلوم الإسلامية من منظور نقدي.

بالنظر إلى الموضوعات التي ضمها ملف المرأة في القرآن، نلمس بوضوح تعددًا وتنوعًا في الموضوعات المطروحة بما يفيد في استكشاف رؤية القرآن للمرأة من زوايا عديدة. افتُتح الملف بدراسة للدكتورة **أماني صالح** حول قضية النوع في القرآن الكريم، وقد انطلقت فيها من مفهوم (**النوع**) واتخذته مدخلًا لبحث قضية المرأة في القرآن. وامتد بالدكتورة أماني البحث إلى مفهوم إسلامي اعتبرته أوفق وأشمل من حيث وصف علاقات النوع وهو مفهوم (**الزوجية**). وتتكامل معها في هذا السياق دراسة **هند مصطفى** حول مفهوم الزوجية في الخطاب القرآني، والتي وقفت فيها على أبعاد الافتراق الواضح للمفهوم بين الخطابين الفقهي والقرآني. أما **أمينة محمود**، فقد واصلت بحث قضايا المفاهيم انطلاقًا من مفاهيم الكيد والرياء والغواية التي وصمت بها "**الثقافة الشعبوية**" النساء. أما **منال يحي**، فتنقلنا بعيدًا عن المفاهيم، وتغوص بنا في قلب القصص القرآني وذلك بتناولها سيرة ملكة سبأ باعتبارها نموذجًا للمرأة الحاكمة أغفله الفقهاء في تناولهم لقضية الولاية السياسية للمرأة. على حين تدرس **عزة جلال** دور النساء في توفير الحماية للرسالات السماوية من خلال شخصية أم موسى عليه السلام، وتتكامل معها على هذا الصعيد دراسة **طيبة شريف** حول مريم ابنة عمران حيث وقفت على علاقة مريم البتول بمفهومي النبوة والولاية. أما دراستا **زينب العلواني وزينب أبو المجد**، فقد انتقلتا من دراسة الخطاب القرآني إلى دراسة الخطابات حول القرآن؛ وفيها تتناول العلواني قراءات السيدة عائشة حول القرآن متخذة من

(1) انظر: مقدمة ملف المرأة في القرآن، **المرأة والحضارة**، 2002، ع3، ص 13.

الاستدراكات نموذجًا سعت به إلى التأسيس لقواعد منهجية في التعامل مع القرآن والسنة. على حين تناولت أبو المجد أسباب النزول وأحكام النساء في الفقه الشافعي، حيث قدمت قراءة نقدية لمنهجية استخدام أسباب النزول في استنباط الأحكام الفقهية الخاصة بالمرأة. وتوصلت إلى أن خطاب أسباب النزول قد تسبب في حصر وتثبيت معاني الخطاب القرآني في ظروف زمانية ومكانية محددة. وأن أسباب النزول قد استندت على روايات غير ثابتة الصحة. وينفرد العدد بحوار خاص مع العلامة الدكتور **طه جابر العلواني** ناقش فيه طبيعة الخطاب القرآني وعلاقته بالكتب السماوية الأخرى، وكيف تسللت الإسرائيليات -وبخاصة المتعلقة بالمرأة- إلى كتابات المفسرين، واختتم الملف بالحلقة النقاشية المعتادة التي تم تخصيصها لدراسة منهاجيات تعامل الباحثات مع القرآن في الدراسات التي قمن بها.

يتضح لنا من خلال هذا الاستعراض الخاطف لموضوعات ملف المرأة في القرآن أن هناك عمقًا ونضجًا معرفيًّا قد بدأ يتبلور: إنْ لجهة الموضوعات المطروحة على صعيد البحث، أو لجهة منهاجيات التعامل. الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بأنه لو واصلت الدورية صدورها، لأحدثت طفرةً نوعية حقيقية على صعيد دراسات المرأة المسلمة. ولكن هذا لا يحول بيننا وبين تسجيل ملاحظة سريعة، وهي أن عددًا من الدراسات كانت بحاجة ماسة إلى باحثين متخصصين في العلوم الشرعية، وقد بدت تلك الحاجة ملحة إلى ذلك في دراسة **"أسباب النزول وأحكام النساء في الفقه الشافعي"** والتي ناقشت قضايا وإشكالات دقيقة وشديدة التخصص.

لا يسعنا في ختام هذا العرض لأبرز أطروحات المرأة والحضارة إلا أن نشير إلى أنها أفلحت في إنتاج خطاب نسوي جديد، ليس بالخطاب الاعتذاري الذي يبرر ويسوغ للتراجعات التي أصابت واقع المرأة بُعيد انقضاء مرحلة النبوة والخلافة الراشدة، ولا هو بالخطاب الاستلابي الواقع في أسر الخطاب النسوي الذي يجد ركيزته في خطابي الحداثة وما بعد الحداثة الغربيين. لقد كان خطابًا يستوعب التراث ويجد في مبادئ الدين ركيزة للإصلاح، وفي الوقت ذاته يستوعب المعاصرة من خلال توظيفه للمنهجيات الغربية في تطبيقاته المعرفية.